البرهان الصادق
في تنزيه الخالق

للشيخ
محمد أفندي الرفاعي

هـذا

كتاب

البرهان الصادق فى تنزيه الخالق للسان المتكلمين
وحجة أهل اليقين العارف الكبير والعلامة
الشهير صاحب السيادة والسماحة السيد
محمد أبي الهدى أفندي الصيادي
الرفاعي أمدّ الله لنا في
وجوده ومنحنا من
بركاته وجوده
آمين

﴿ الطبعه الاولى ﴾

بمطبعة علي سكر بشارع محمد علي بمصر سنة ١٣٢٦

هذا كتاب

البرهان الصادق في تنزيه الخالق للسان المتكلمين

وحجة أهل اليقين العارف الكبير والعلامة
الشهير صاحب السيادة والسماحة السيد
محمد أبي الهدى أفندى الصيادي
الرفاعي أمد الله لنا في
وجوده ومنحنا من
بركاته وجوده
آمين

طبع بمطبة علي سكر بشارع محمد علي بمصر
سنة ١٣٢٦ هجريه

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيدنا وسيد المخلوقين . محمد النبي الامين . وعلى آله وأصحابه أجمعين ﴿ أما بعد ﴾ فيقول العبد الفقير الى الله تعالى محمد أبو الهدى الصيادي الرفاعي . كان الله له عوناً فى جميع المساعي . ووالديه والمسلمين آمين . قد سألني بعض الاخوان . أصلح الله لي ولهم الشان . أن أكتب رسالة فى أسرار التوحيد . وفيما يقتضيه التنزيه للخالق المجيد . من القول بالجهة والاستواء . وما لا ينطبق على حكم التنزيه من الجلوس والاستقرار الذي هو من سمات الحادثات من الاشياء ﴿ فأجبته ﴾ لذلك خدمة للشرع المبين . وتنزيهاً لقدس رب العالمين . وتقرباً للشرع العظيم الامين . عليه صلوات الباري المعين . وكتبت هذه الرسالة الوجيزة ورتبتها على بابين . كلاهما كالقرة للعين . وسميتها ﴿ البرهان الصادق فى تنزيه الخالق ﴾ والله المسؤل أن يجعلها نافعة للمسلمين . مرضية عند رب العالمين .

﴿ الباب الاول ﴾

فى أسرار التوحيد . وما تطمئن به قلوب العبيد . من هذا المطلب الحميد .

قال الله تعالى (إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي)

أما العدل فهو شهادة أن لا اله الا الله (والاحسان) القيام بالفرائض

(وإيتاء ذي القربى) صلة الرحم (وينهى عن الفحشاء) الزنا (والمنكر) مالا يعرف في شريعة ولا سنة (والبغي) الاستطالة على المخلوقين فهذه الآية الكريمة أجمع آية لوجوه إرشاد المكلفين وهدايتهم الى مافيه صلاح حالهم في الدارين . وقد أمر الله تعالى فى هذه الآية بثلاثة أشياء وهى العدل والاحسان وإيتاء ذى القربى . ونهى عن ثلاثة أشياء وهى الفحشاء والمنكر والبغي . فالعدل هو عبارة عن الامر المتوسط بين طرفي الافراط والتفريط ورعايته أعني العدل واجبة في جميع الاشياء لاسيما فيما يتعلق بالاعتقاد وفي أفعال الجوارح وفى الاخلاق النفسانية وأجل وجوه العدل الاعتقاد بوحدة الاله فان نفي الاله تعطيل محض واثبات اكثر من اله كشريك وشبيه وهما مذمومان دافعان الى النار وبئس القرار . والعدل هو اثبات اله واحد واعتقاد أنه لا اله الا الله . والعدل أيضاً فيما يتعلق بالافعال أن يقال ان العبد يفعل الفعل بواسطة أن الله تعالى يخلق فيه قدرة كاسبة تدعوه الى الفعل . والقدرة المؤثرة ليست الا له تعالى والعدل فيما يتعلق بأعمال الجوارح كالتقيد بأداء الواجبات المتوسطة بين البطالة والترهب . والاحسان هو التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله . وقالوا المبالغة فى أداء الطاعات بحسب الكمية وبحسب الكيفية هو الاحسان ومن أجل أقسام الشفقة على خلق الله صلة الرحم فقوله تعالى وإيتاء ذى القربى من قبيل التخصيص بعد التعميم إيذاناً للشرف الخاص ومبالغة في الحث عليه وقد أودع تعالى فى النفس البشرية قوى أربعة وهن الشهوانية البهيمية والغضبية السبعية والوهمية الشيطانية والعقلية الملكية فالقوة العقلية الملكية لايقدر الشيطان على اغواء الانسان من قبلها بخلاف

القوى الثلاث الاول فان الفحشاء أثر القوة الشهوانية والمنكر أثر القوة الغضبية السبعية والبغي أثر القوة الوهمية قال أمير المؤمنين أسد الله صهر رسول الله سيدنا علي كرم الله وجهه واكرمه بتحياته وسلامه كل شيء علمه في القرآن الا أن آراء الرجال تعجز عنه فبعضه مبين فيه بأن نص عليه صريحاً وبعضه مبين فيه على وجه الاجمال باحالته على مايوجب العلم من بيان النبي عليه السلام أو اجماع المسلمين (قلت) وقال القائلون بالقياس رحمهم الله تعالى أو القياس على مانص عليه للاشتراك في علة الحكم ونفاة القياس قالوا القرآن تبيان لكل شيء من العلوم الدينية إذ غيرها لا التفات اليه . وعلوم الدين إما أصول وإما فروع فعلم الاصول كله موجود في القرآن وعلم الفروع فلا اصل فيه براءة الذمة وذلك يدل على ان لا تكليف من الله الا فيما ورد في القرآن واذا كان كذلك فالقول عندهم بالقياس باطل وقال الآخرون انما كان القرآن تبيانا لكل شيء لانه دل على أن الاجماع حجة وكذا كل واحد من القياس وخبر الواحد فضلا عن السنة المتواترة واذا ثبت حكم من الاحكام بأحد هذه الاصول كان ذلك ثابتا بالقرآن . وقد علمنا من حكم الآية الكريمة التي تكلمنا عليها أن العدل اثبات اله واحد وفي هذه الجملة معنى يفيد تنزيه الله عن سمات الحدوث وهكذا عهده الي المؤمنين وقد قال سبحانه ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا فلا يصرفنكم عن تنزيهه تعالي في ذاته وصفاته صارف دنيوي اوعقلي او متشابه نص فان المفسر الاعظم صلى الله عليه وسلم تركنا على محجة بيضاء ليلها كنهارها . ومن مزالق الاقدام ان يتبع ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وفي كل هذه المفاوز فسر التوحيد ذاهر

وهو ان العقل يقف عند النقل فلايقدر على نفي الصانع وكيف يكون ذلك
والآثار المصنوعة والحادثات المخلوقة كلها على اختلاف انواعها تشهد طوعا
وكرها بوجوده سبحانه وقد يعسر على الجاهل قيده بعدم الرؤية وعدم
الكيف والاين فلوفسرت له حقيقة ذلك لتمكن كل التمكن من العلم بخالقه
بعد الجهل وجمع عقله على النقل . ولذلك فسنذكر من تفسير هذه الاسرار
الشريفة مايثلج صدر المؤمن فنقول أما الرؤية فهى وان كانت ممكنة فى
الدنيا والدليل على امكانها طلب الكليم سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام
الرؤية غير أن ابصارنا لاقدرة لها على النظر اليه لكثرة الحجب القائمة على
ابصارنا مابين ظلمانى ونورانى وناهيك بنجى الله عليه صلوات الله فانه قال
رب أرني أنظر اليك فقال له جل وعلا ان تراني ولكن انظر الي الجبل فان
استقر مكانه فسوف تراني فلم يطلب سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام الا
ممكنا وقد احيلت بغيته على استقرار الجبل مكانه وهذا ممكن غير أن
سلطان التجلى لما قابل الجبل جعله دكا وخر موسى صعقا لهيبة المتجلى ولعزة
التجلى وحيث ان القوالب الانسانية كلها في هذه الدار مشتملة على نفوس
والنفوس مستودعة القوى الاربعة القوة الشهوانية والغضبية والوهمية
والعقلية ولكل قوة منها حجب عظيمة قائمة فيها فبتلك الحجب لم تتمكن
الابصار أن تنظر الي قدس الجبار غير أن القوى الثلاثة خلا العقلية كلها فى
الانبياء عليهم الصلاة والسلام مضمحلة سوى العقلية الملكية ولذلك رأى
القابلية موسى عليه السلام في نفسه الطاهرة المباركة فطلب الرؤية . وعلى
القول بامكانها وهو الحق الظاهر والبرهان الباهر فعدم حصولها للطف

الذات الاقدس ولكثافة الحجب التي منعت الابصار عن التمكن من المشاهدة في هذه الدار ولم يتم هذا الشأن الا لسيد نوع الانسان وعلة هذه الاكوان صلى الله عليه وسلم والرجل اذا لم يتمكن من رؤية الهلال هل يصح له عقلا أن ينكر وجوده أو يجحد شهوده لا بل يقال

واذا لم تر الهلال فسلم لأناس رأوه بالابصار

ومتى امتنعت الرؤية امتنع القول بالأين والكيف فان الاين من سمات الحدوث والكيف من نعوته التي تعرف وتعرف وتكيف وتوصف وهو جلت عظمته منزه في قدس لطفه عن الاوصاف التي تمر على الخواطر والنعوت التي تهتف اليها السرائر وتلحظها الابصار وتحيط بها الافكار وان اندفاع الزعوم والظنون الى التشبيه والتمثيل الذي تنزه عنه القوي الوكيل من بروز رقائق تجلياته الفردانية بمنزلة المرايا تجاه الصور فتنجذب القلوب وتجذب همم القوالب متطلعة الى مقابلة تلك المرايا فاذا قابلتها انعكس لها مرآها فأخذت بالتمثيل والتشبيه وماتمثل الا كونها ولم تشبه الا عينها وذات الحق في مقام قدسها المطلق منزهة عن كل ماجال ببال كل من أفراد العقلاء وقد يخاطب ذلك الممثل المشبه لسان العلم قائلا كل ماخطر ببالك فهو هالك. والله بخلاف ذلك. كيف وقد باين خالقه في سائر النعوت والصفات والمراتب فلا يجمعه مع الخلق حد ولا حقيقة ولا جنس ولا نوع ولا مكان ولا حال وكل ماورد مما يعطي ظاهره التشبيه فما هو على الحقيقة تشبيه انما هو تنزل الهي لنا رحمة بعقولنا لتعقل المعاني التي جاءت على يد الرسل عليهم الصلاة والسلام ومن هذا حديث الجارية حين سالها المصطفي

صلى الله عليه وسلم أين الله فأشارت الى السماء فعدها مؤمنة وذلك لان الأين له ثلاثة وجوه . أين يفهم ولا يعقل وهـو يشير الى وجود الحق ولا يعقل منه معني غير وجود الحق كسؤاله عليـه الصلاة والسلام للجارية فلما اذعنت بوجوده سبحانه عدها مؤمنة . وأين يعقل ويمنع القول به حكما لمنافاته العقل والحكم وهو اثبات أينية معينة . وأين منصوص فنؤمن بالنص ولا ندعي أننا نفهم أو نعقل له حقيقة مدركة وهو قوله تعالى وهو معكم أينما كنتم ومثل هذه الحقائق التى شرحناها هي مؤيدة للتنزيه وكلها تعرف بنسبة عقولنا وأفهامنا لا غير وما ذلك الا الصواب اذ هو تعرف آني بالأثر الناشئ عن الصفات المقدسة والخالق تعالت قدرته هو الذي خلق الذوات وبلا ريب هو الخالق لما ينشأ علي يد كل ذات منها . ولما كانت الافعال اعراضا لا تظهر الا في جسم أضيفت الافعال الى الاجسام كاضافة الري للماء والشبع للطعام والله سبحانه هو الخالق للري والشبع عندهما لا بهما كما خلق النفخ في عيسى عليه السلام وخلق الروح في الطائر . ومنه يعلم أنه سبحانه يخلق الاشياء عند الاشياء لا بالاشياء . ومن النتيجة الحاصلة التي يقبل تعقلها العقل الانساني ينهض العقل الى المعرفة وهذا سر ماجاء في الحديث القدسي أعنى كنت كنزاً مخفيا لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت خلقا وتعرفت اليهم فبي عرفوني اذ لو لم يتعرف الى الخلق لما عرفوه سبحانه وتعالى وتلك المعرفة انما هي ايقان وايمان بوجوده سبحانه دون ادنى ريب أوشبهة لما قام للعقول من البراهين التى استدلت بها استدلالاً بتاً على وجوده وحيث انه سبحانه لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار فالتشبيه زور والتمثيل باطل

والتعطيل جهل وانسلاخ عن محاسن البشرية بالكلية ومتى شبه الفكر اندفع الى التحيز فاختار لما شبه جهة وكيفا وأينا وجسما على ان الفكر الحادث الكليل لايجري عليه الا مايصلح له مما يمكنه الاحاطة به وهذا هو الضلال المبين (واذا) وصل العاقل الى رتبة المعرفة التى تنفي الشكوك والشبه مامثل ولا جسم ولا عطل ولاشبه واذا تدبر آيات الكتاب العزيز رأي انها في اكثر المواطن تحمل الانسان على التفكر والنظر ليصل الى المعرفة ومتى عرف نفي الشك والشبهة وقال بوجود الحق مذعنا يرفعه البرهان الذي حصل من التفكر والنظر الاكملين النيرين الي الايمان الحق الذى لاينازع بريبة . ومن سر قوله تعالي (وفى أنفسكم أفلا تبصرن) يفهم ماجاء في الخبر من عرف نفسه فقد عرف ربه وذلك لما انطوى فى ذات الانسان من البراهين القاطعة التى لا تدافع منها الروح والنفس والعقل والسمع والبصر والكلام واللمس والشهوة والغضب والرضا والاخلاص والرياء والزهد والخيال والتدبر والحفظ والنسيان والتصور والتذكر والحزن والسرور والاقلاع والحرص والحب والبغض والتذلل والتدلل والصفوة والخديعة والانقباض والانبساط وكثيرمن هذه الاسرار المعنوية المحققة الوجود في الوجود والمواد اللاطفية المدركة الكون المغيبة عن ساحة الشهود التى لايمكن للعاقل انكار وجودها ولااثبات كيفها ولاحصرها في حيز ولا جهة من جهات الوجود تتنزل من حيث لايعلم المرء طريقها ولا يفقه احاطتها وان تمحل فقد يكذبه الخاطر الذي يهبط اليه ويتنزل عليه من حضرة لايمكنه تعينها ولا تنكشف له عينها ولم يبق عنده الا القول بوجودها ذوقا وتحققا مع العجز عن درك اينها وكيفها

ولذلك جعلت حضرة المحاضرة مع الرب حضرة القلب لان القلب محل
التنزل كما جاء في القرآن وقال به الاذعان وفي كلام سيدنا الامام على أمير
المؤمنين كرم الله وجهه ورضي عنه اطلبو الله بقلوبكم وفي الحديث الا أن
في الجسد مضغة ان صلحت صلح الجسد وان فسدت فسد الجسد ألاوهي
القلب لانه متى صح المحاضرة صان الجسد عن المخاطره ونفى التعطيل بالدليل
وقاده العقل الى التنزيه فارتفعت همته عن التمثيل والتشبيه واذا عبد الله جمع
همة قلبه على هذه المعرفة الصريحة ووقف مع هذه الحقيقة الصحيحة وحاضره
سبحانه بقلبه وأذعن لسلطانه بلبه وهدم صومعة الخيال التى تقوم بالتشابيه
والتماثيل الكاذبة وصفع شيطان الخواطر الذي يجره من حضرة الحق الى
وهدة الباطل الخائبة ونفى بالعلم النير التعطيل والشكوك ووقف فى حضرة
الأدب مع ملك الملوك وأخلص له العمل وترقب اللقاء بعد الحين والأجل
ايمانا بقوله تعالى (قل يحييها الذى انشأها أول مرة) وقد قال بعض العلماء
الاجلاء لو اجتمع الخلائق بأسرهم على ايراد الحجة الدالة على صحة البعث بهذا
الاختصار ما قدروا عليه إذ لاشك أن الاعادة ثانيا أهون من الايجاد أولاً
قلت يؤيد ذلك قوله سبحانه (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون
عليه) وحينئذ يكون ذلك العبد عارفا بالله مؤمناً عن علم واذعان بكل
ماجاء عن الله وانبا به انبياء الله وايده بالبراهين النظرية والآيات القدسية
سيد المرسلين وامام النبيين محمد رسول الله عليه وعليهم أجمعين اكمل صلوات
الله (تحفة) قال شيخنا وسيدنا وملاذنا القطب الاعظم الجواد ابو علي
السيد عز الدين أحمد الصياد الرفاعي الحسيني رضي الله عنه وعنى به في كتابه

(الطريق القويم والصراط المستقيم) ما نصه المحبة لله تعالى دوام ذكره وامتثال امره والانقطاع مع الاتصال بالاسباب اليه والتوكل مع ممازجة الآثار عليه وجمع الهمة بالاعتقاد الخالص على أنه سبحانه وتعالى اله واحد أحد فرد صمد قديم عالم قادر حي سميع بصير عزيز عظيم جليل كبير جواد رؤف رحيم متكبر جبار باقي أول قبل كل شيء وآخر بعد كل شيء وليس كمثله شيء رب عظيم مريد حكيم خالق رازق موصوف بكل ما وصف به نفسه من صفاته مسمي بكل ما سمي به نفسه من أسمائه غير مشبه بالخلق لا في ذاته ولا في صفاته منزه عن سمات الحدوث لا قديم غيره ولا اله سواه ليس بجسم ولا صورة ولا شخص ولا جوهر ولا عرض ولا شبح لا اجتماع له ولا افتراق ولا يتحرك ولا يسكن ولا ينقص ولا يزداد لا يحويه مكان ولا يجري عليه زمان لا تاخذه سنة ولا نوم لا هو فوق شيء ولا هو تحت شيء قادر على كل شيء وهو بكل شيء محيط لا تجري عليه المماسة لشيء ولا الحلول في شيء ولا الاتحاد مع شيء لا تحيط به الاوهام والافكار ولا تدركه الابصار ممتنع عن الخلق ان يشبهوه كلهم في حيطة العجز عن ذلك هو الظاهر بسره الباطن بظهوره وهو على ما عليه كان هو الاول والآخر والباطن والظاهر وهو بكل شيء عليم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ارسل الرسل وخلق ودبر ألا له الخلق والامر يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد أنزل الكتب السماوية وأقام بها النواميس الدينيه فافضل كتبه القرآن وأفضل رسله حبيبه ونبيه وعبده ورسوله سيدنا محمد سيد نوع الانسان عليه جل صلوات الله في كل آن وزمان انتهى بحروفه وهو كلام فيه لب

اللباب لما فصل في هذا الباب والله ولي الامر واليه المآب

﴿ الباب الثاني ﴾

في تنزيه الخالق عن القول بالجهة والاستواء والجلوس والاستقرار ومماثلة الاشياء

اعلم أيها المحب ان البعض تمسكوا بقوله تعالى الرحمن على العرش استوى وتوسع بعضهم فزعم الاستواء كاستواء الاجسام على الاجسام ومن هذا زلق فقال بالجهة وكل هذا خطأ محض وسنبسط الكلام على هذه الآية الكريمة بسطا يستوفي المقصود فنقول قد تمسك المشبهة بهذه الآية فزعموا ان معبودهم جالس مستقر على العرش وقولهم هذا باطل بالنقل والعقل واختلف أهل الحق في تأويل هذه الآية فقال بعضهم انا نقطع بأن الله تعالى منزه عن المكان والجهة وانه لم يرد من الاستواء الجلوس والاستقرار بل مراده شيء آخر الا انا لا نشتغل بتعيين ذلك المراد خوفاً من الخطأ وقال آخرون لما قامت الادلة العقلية على امتناع الاستقرار ودل ظاهر لفظ الاستواء على معنى الاستقرار وعلى هذا لم يمكن العمل بمقتضى الدليلين ضرورة واستحالة كون الشيء الواحد منزهاً عن المكان وحاصلاً فيه معاً ولا سبيل أيضاً الى ترك العمل بهما لانه يستلزم ارتفاع النقيضين معا وهو باطل ولا الى ترجيح النقل على العقل لان العقل اصل للنقل فانه مالم يثبت بالدلائل العقلية وجود الصانع وعلمه وقدرته وبعثته للرسل لم يثبت النقل فالقدح في العقل لاجل تصحيح النقل يقتضى القدح فى العقل والنقل معاً فلم يبق ألا ان نقطع بصحة العقل ونشتغل بتأويل النقل روى

البيهقي بسنده عن عبد الله بن وهب قال كنا عند مالك بن أنس فدخل
رجل فقال ياابا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف استواؤه قال
فاطرق مالك واخذته الرحضاء ثم رفع رأسه فقال الرحمن علي العرش استوى
كما وصف نفسه ولا يقال كيف وكيف عنه مرفوع وانت رجل سوء
صاحب بدعة اخرجوه وبسنده ايضاً عن محمد بن عمرو بن النضر النيسابوري
يقول سمعت يحيي بن يحيي يقول كنا عند مالك بن انس فجاء رجل فقال يااباا
عبد الله الرحمن على العرش استوى فكيف استوى قال فاطرق مالك رأسه
حتى علاه الرحضاء ثم قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول
والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما اراك الا مبتدعا وامر به ان
يخرج وروى انه سئل ربيعة الراى عن قول الله تبارك وتعالى الرحمن على
العرش استوى كيف استوى قال الكيف مجهول والاستواء غير معقول
ويجب علي وعليك الايمان بذلك كله ونقل البيهقي ايضاً عن الشيخ ابي بكر
احمد بن اسحق بن ايوب انه ذكر في كتابه الذي املاه في مذهب اهل
السنة الرحمن على العرش استوى بلا كيف قال وعلى هذه الطريقة
يدل مذهب الشافعي رضي الله عنه واليها ذهب أحمد بن حنبل والحسين
ابن الفضل البلخي ومن المتأخرين أبو سليمان الخطابي وذهب أبو الحسن
علي بن اسماعيل الاشعري الي أن الله تعالى جعل ثناؤه فعل في العرش فعلا
سماه استواء كما فعل في غيره فعلا سماه رزقا أو نعمة أو غيرهما من أفعاله ثم
لم يكيف الاستواء لا أنه جعله من صفات الفعل لقوله (ثم استوى على
العرش) وثم للتراخي والتراخي انما يكون في الافعال وأفعال الله توجد بلا

مباشرة منه اياها ولا حركة وذهب جماعة من أهل النظر منهم الامام أبو الحسن علي بن محمد الطبري الى أن الله تعالي فوق كل شيء مستو على عرشه بمعنى أنه عال عليه ومعنى الاستواء عندهم الاعتلاء والمعنى أن الباري القديم عال على عرشه لاقاعد ولا قائم ولا مماس ولامباين مباينة ذات لان كل ذلك من صفات الاجسام والله عز وجل أحد صمد لم يلدولم يولد ولم يكن له كفواً أحد لايجوز عليه مايجوز على الاجسام وهذا ماذهب اليه الاستاذ ابو بكر بن فورك وأنه علا سبحانه علواً لايراد به علو بالمسافة والتحيز والكون في مكان والتمكن فيه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراًوفي كتاب حل المشكلات لشيخنا وسيدنا القطب السيد محمد مهدي آل خزام الصيادي الرفاعي رضى الله عنه معنى لطيف جدا من هذا الاسلوب وهو أنه يقول نقرأ هذه الآية بنص الرحمن علا العرش بفتح الشين فالعرش مفعول والآية الاخرى التي بعدها استوى (له مافي السموات ومافي الارض وما بينهما وما تحت الثرى) ومعنى استوى هنا قصد له مافي السموات وما في الارض الآية ومن هذا المعنى ثم استوى الي السماء معناه ثم قصد ومن تعلق الارادة الازلية بخلق السماء بالاستواء يفهم معنى القصد ومنه اشتق لفظ استوى والمساواة بين الشيئين المعادلة بينهما سويت الشيء فاستوى أي عدلته فاعتدل واستوى أي استعلى واستوى الي السماء أي قصد واستوى أي استولى فعلى ان جعلت صفة بمعنى الاعتلاء فالنظم يستكمل فى كلمة العرش وان جعلناها حرف جر واستكملنا الآية بكلمة استوى فهنا معنى استوى أي استولى على العرش يؤيد ذلك قوله تعالى تأكيداً لعزة استيلائه

له ما في السموات وما في الارض الآية وقال جلة من العلماء المراد من الاستواء الاستيلاء والاقتدار كما في قول الشاعر

قد استوي بشر علي العراق　　من غير سيف ودم مهراق

انتهي فليتدبر وقال سيدنا الامام الاكبر السيد احمد الرفاعي الحسيني رضي الله عنه في كتاب البرهان المؤيد مانصه صونوا عقائدكم من التمسك بظاهر ما تشابه من الكتاب والسنة لان ذلك من أصول الكفر قال تعالي فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله والواجب عليكم وعلي كل مكلف في المتشابه الايمان بأنه من عند الله انزله على عبده سيدنا رسول الله وما كلفنا سبحانه وتعالى تفصيل علم تأويله قال جلت عظمته (ومايعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) فسبيل المتقين من السلف تنزيه الله تعالي عما دل عليه ظاهره وتفويض معناه المراد منه الى الحق تعالى وتقدس وبهذا سلامة الدين وقال رضي الله عنه ايضاً في البرهان المؤيد مانصه اي سادة نزهوا الله عن سمات المحدثين وصفات المخلوقين وطهروا عقائدكم من تفسير معنى الاستواء في حقه تعالى بالاستقرار كاستواء الاجسام على الاجسام المستلزم للحلول تعالى الله عن ذلك واياكم والقول بالفوقية والسفلية والمكان واليد والعين بالجارحة والنزول بالاتيان والانتقال فان كل ما جاء في الكتاب والسنة مما يدل ظاهره على ماذكر فقد جاء في الكتاب والسنة مثله مما يؤيد المقصود فما بقي الا ما قاله صلحاء السلف وهو الايمان بظاهر كل ذلك ورد علم المراد الى الله ورسوله مع

تنزيه الباري تعالى عن الكيف وسمات الحدوث وعلى ذلك درج الأئمة وكل ماوصف الله به نفسه فى كتابه فتفسيره قرآنه والسكوت عنه ليس لأحد ان يفسره الا الله تعالى ورسوله ونقل مثلما تقدم عن الامام مالك رضي الله عنه ونقل ايضاً عن الامام الشافعي رضي الله عنه انه لما سئل عن قوله تعالي الرحمن على العرش استوى قال آمنت بلا تشبيه وصدقت بلا تمثيل واتهمت نفسى في الادراك وامسكت عن الخوض فيه كل الامساك وروى عن الامام أبي حنيفة رضى الله عنه انه قال من قال لااعرف الله فى السماء أم في الارض فقد كفر لان هذا القول يوهم ان للحق مكانا ومن توهم ان للحق مكانا فهو مشبه ثم قال وسئل الامام احمد رضى الله عنه عن الاستواء فقال استوي كما اخبر لا كما يخطر للبشر انتهي ونقل البيهقي قدس الله روحه عن بعضهم انه قال الاستواء صفة الله تعالي بنفي الاعوجاج عنه ثم قال وفيما كتب الى الاستاذ ابي منصور ابن أبي ايوب ان الاستواء هو القهر والغلبة ومعناه ان الرحمن غلب العرش وقهره وفائدته الاخبار عن قهر مملوكاته وانها لم تقهره وانما خص العرش بالذكر لانه أعظم المملوكات فنبه بالاعلي على الأدني قال والاستواء بمعنى القهر والغلبة شائع في اللغة كما يقال استوى فلان على الناحية اذا غلب اهلها ثم قال في قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان والاستواء الى السماء هو القصد الى خلق السماء فلما جاز ان يكون القصد الى السماء استواء جاز ان تكون القدرة على العرش استواء وعن ابن عباس رضى الله عنهما ثم استوى صعد كقولك للرجل كان قاعداً فاستوى قائماً وكان قائماً فاستوي قاعداً وكل ذلك جائز في كلام العرب

وقال بعض الأئمة على العرش استوى اي اقبل على العرش قال البيهقي طاب
ثراه استوى بمعنى اقبل صحيح لان الاقبال هـو القصد الى خلق السماء
والقصد هو الارادة وذلك هو جائز فى صفات الله تعالى وعن ابن عباس
رضى الله عنهما ثم استوى الى السماء يعنى صعد امره الى السماء فسواهن
يعني خلق سبع سموات وعن ابي العالية استوى اي ارتفع والمـراد بذلك
ارتفاع امره وقال شيخنا القطب الرواس رضي الله عنه رد ابن الاعرابي
قول من قال استوى بمعنى استولى محتجا بان العرب لاتقول استولى فلان
على العرش حتى يكون له فيه مضاد فايهما غلب قيل قد استولى عليه والله
تعالى لامضاد له فهو على عرشه كما اخبر قلت وان كان المعنى الذي قاله ابن
الاعرابي صحيح المبنى في قوله فهو على عرشه كما اخبر غـير ان قوله ان
العرب لاتقول استولى فلان على العرش حتى يكون له فيه مضاد فهذا القيد
لم يفهم من لغة العرب اصلاً فهم يقولون استولى عم الصغير على امواله
واستولى فلان على زوج فلان الميت واملاكه ولا الصغير مضاد ولا الميت
مضاد ومعنى استوى استولى شائع في لغة العرب دون نكير والاستيلاء
كناية عن الملك وقد يقال فلان استوى علي عرش الملك لان العرش سرير
الملك والاستيلاء عليه اخبار بالملك لـكونه من توابعه وروادفه وبيانه اشارة
لـكون المستوى علي السرير المستولى عليه هو الملك المالك للسرير وان لم
يقعد عليه والتعبير عن الشيء بالـكناية ابلغ واوقع من الافصاح بذكره
وهذا ماذهب اليه صاحب الـكشاف ثم قال شيخنا القطب الرواس رضي
الله عنه ولو صح قول المشبهة لما جعلت الـكعبة التي هى في الارض قبلة

العبادة حيث أن المكان على رأيهم تعين تنزه الله وتقدس عما يقولون وتعالى عما يتوهمون (قلت) ومن هذا علمنا أن المتشابهات لا تفيد المعاني التي يتوهمها الحادث وعلينا الايمان بظاهر النص مع تنزيه الله مما يدل عليه وتفويض مايراد منه الى الله تعالى وثبت أن الخليفة الاول سيدنا أبو بكر رضى الله عنه سئل عن آية من كتاب الله تعالي فقال للسائل لا أعلم فاستبعد السائل ذلك فقال له الصديق رضي الله عنه أي سماء تظلني وأي أرض تقلني ان قلت فى كتاب الله تعالى بما لم يرده هذا وهو أبو بكر فما بالك بمن دونه وأعلم أن المتشابه اذا فهم معناه بأفهام الله للعبد لا يكون مبايناً للمحكم أصلاً لأن زبدة العلم بالتأويل أن يأتي التأويل بوجه واحد لا بوجهين فكل من يأتي بتأويل يخرج النظم المتشابه عن معنى المحكم لم يكن مصيباً البتة ومن أولئك الخائضين بغير الصواب الذين يتكلمون بآرائهم على الحروف التي في أوائل السور وعلى نزول ربنا الى سماء الدنيا ومجيئه والملك صفاً صفاً وأتيانه في ظلل من الغمام ومعنى الاستواء على العرش ومعنى اليد والرجل والعين والوجه والقدم والتقرب بالباع والذراع والهرولة وكونه لا يسعه الا قلب عبده المؤمن ومعنى يداه مبسوطتان ومعنى قلب بين أصبعين من أصابع الرحمن والسموات مطويات بيمنه وكلتا يدي ربي يمين مباركة وغير ذلك كالمعية والضحك والفرح والتعجب والغضب والرضا والصبر والعلم والكلام وما يشبه ذلك فكلها قد أخبرنا به سبحانه عن ذاته والادلة العقلية تحيل ذلك والنصوص المحكمة تعارضه لانه سبحانه نفى العلم بما يعقل عن نفسه القدسية فقال ليس كمثله شيء وحيث أن اللغة التي جاء بها القرآن هي لغة العرب بل لغة قريش في العرب على أن النبي المبلغ صلى الله

عليه وسلم هو قريشي والمعاني التي تصرف اللغة اليها هذه الكلمات الربانية
معلومة فالعين تشير الى الحراسة والوقاية واليد النعمة والبر والرجل القوة
والغلبة وعلى ذلك فقس قال شيخنا رضي الله عنه وحيث أن العقل أحال حمل
المعنى الظاهر في المتشابه على الله وأيد العقل الكثير من النصوص المحكمة
فحينئذ انتفى التوهم العقلي ولم يثبت مايتوهم مما يعقل في تلك الكلمات
الربانية لرد ذلك بالعقل والنص وهنالك ان شئت أولت بحكم اللغة القرشية
العربية ووافقت المحكم وان شئت نفيت مايتوهمه الرأي من ظاهر المعنى
ونزهت الله عنه ورددت علم مايراد منه الى الله ومتى قلت بهذا نفيت الجهة
والمكان وقدست ربك كما يليق لذاته وكنت مقتدياً بالسلف وموافقا
للخلف وأمينا من صدمة الهلاك والتلف والله يتولى هدانا وهداك انه على
مايشاء قدير انتهى كلامه الشريف وهو الغاية فى هذا الباب فليتدبر ومن
لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ولايخفى أن الامام الجلال الدواني رحمه
الله ونفع به قال في شرح العقيدة الصغرى وأما المصرحون بالجسمية
المثبتون لوازمها من غير تستر بالبلكفة فهم يكفرون كما صرح به الرافعي
وذكره العلامة الشريف في أول شرح المواقف ثم قال وأما العوام الذين
يدعون الجهة والجسمية وهم على غاية من اعتقاد التنزيه والكمال المطلق لله
سبحانه وتعالى فهم لايكفرون قلت سيما اذا بعدوا عن العلماء بحيث يخفى
عليهم بطلان مدعاهم ولكن لايخرجون من المبتدعة وأما من قرب من
العلماء بحيث لايخفى عليه بطلان مايدعيه وسمع تنزيه الله تعالى عما ذهب
اليه من اعتقاد الجسميه والجهة وكان مثبتا لوازمها غير متستر بالبلكفة فهذا

يكفر عند السادة الحنفية ولا خلاف في ذلك بينهم وبين السادة الشافعيه والسادة
الملكيه ورجال الصدر الاول من عظماء الحنابلة نفع الله بهم اجمعين
وكذلك الامام أبو القاسم الصفار البلخي وصاحب الخلاصة والظهيرية ومجمع
الفتاوي فانهم قد أكفروا منكر الرؤية والشفاعة وفي التبصرة البغدادية
والا بكار وشرح المقاصد قالوا ان كثيراً من المتكلمين اكفروا المخالفين
للحق من القدرية والمجسمة والخوارج ونص الشعراني في اليواقيت والجواهر
على تبديع القائل بالجهة وله هناك كلام طويل وحيث ان كلمة أهل العلم
اتفقت على هذا والحديث الصحيح دع ما يريبك لما لا يريبك فقد وجب
التنحي عن هذه المعتقدات المضلة والطرق المذلة وقد احتج بعضهم بقوله صلى
الله عليه وسلم ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء قلت قال سيدنا
وامامنا العارف الاكبر الامام الاشهر السيد أحمد الرفاعي الحسيني رضي
الله عنه في كتابه الذي جمعه من مجالسة المباركة الامام أبو شجاع الشافعي
قدس الله روحه وسماه حالة أهل الحقيقة مع الله مانصه اخبرنا الشيخ
الجليل المقرى العارف بالله خالي أبو بكر الانصاري الواسطى قال انبأنا
أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي قال انبأنا ابو القسم منصور ابن النعمى
قال انبأنا ابو نصر عبد الله بن سعيد بن حاتم الوائلى قال انبأنا أبو يعلى حمزة
ابن عبد العزيز المهلبي قال أنبأنا ابو حامد أحمد بن محمد بن بلال البزاز قال
انبأنا عبد الرحمن ابن بشر بن الحكم قال انبأنا سفيان بن عينية عن عمرو بن
دينار عن أبي قابوس عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض

يرحمكم من في السما هذا الحديث الشريف فيه من أسرار العلم بالله العجائب أمر به المصطفى صلى الله عليه وسلم بالرحمة لمن في الارض من المخلوقين لتحصل بذلك الرحمة للعبد من كل من فى السماء من العلويين فان السماء طريق تنزل الرحمات الربانية ومحل أنبوب الافاضات الرحموتية ومقر الملائكة الذين جعلهم الله وسائط اسراره بينه وبين خلقه فاذا القى الرحمة في سر ملك الرزق طاب الرزق واذا القاها في سر كاتب الاعمال انساه السيآت واذا القاها في سر الرقيب اعان ورفق انتهى كلامه الشريف وفيه بلاغ واليه المنتهى في هذا المقام وعلى اهل الحق السلام وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين

حرر بقلم مؤلفه غفر الله له وكان جمع
شمله بيوم وليلة في يوم السبت
في ٢٤ جمادى الآخر
سنة ١٣٢٣
هجريه